علماء نفس "فلسطينيي الوطن": أبواب دول العالم مفتوحة أمامنا إلا أبواب الدول العربية

يقاطعون صانعي "يوم الأرض" بحجة رفض التطبيع

www.arabpsynet.com/documents/DocDwairyPsyPalestine.pdf

بروفسور مروان دويري*

مدينة الناصرة

psy@marwandwairy.com

أبواب دول العالم مفتوحة أمامي إلا أبواب الدول العربية التي أنتمي إلى شعوبها وأنشغل في قضاياها الاجتماعية والنفسية

هو موقف فجّ ينم عن جهل عميق لتجربتنا الوطنية، وليس فيه موقف وطني ولا قومي ولا يصب في إطار مقاومة إسرائيل أو سياستها.

ارتأيت كتابة هذا المقال

بعد أن نشرت كتابي سنة 2006 عن العلاج النفسي للعرب والمسلمين بواسطة دار النشر التابعة لجامعة كولومبيا الأمريكية، بادر بعض المهتمين بالأمر في بعض الدول العربية إلى دعوتي لتقديم ورشة عمل للأخصائيين والأطباء النفسيين في بلادهم حول هذا الموضوع. حين أوضحت أنني فلسطيني أسكن إسرائيل وأحمل جواز سفر إسرائيلي تراجع الداعون بحجة أنهم ودولهم يقاطعون إسرائيل. منذ نشر الكتاب تمت دعوتي إلى دول غربية وشرقية عديدة لتقديم خبرتي هذه في هذا المجال، خاصة بعد أن أعلن سنة 2008 في أحد التقارير الإحصائية عن الأبحاث أنني من بين أول عشر باحثين في العالم الذين أثروا موضوع علم النفس الحساس للحضارات والثقافات. أبواب دول العالم مفتوحة أمامي إلا أبواب الدول العربية التي أنتمي إلى شعوبها وأنشغل في قضاياها الاجتماعية والنفسية.

كثيرة هي المؤتمرات العلمية والاجتماعية والسياسية والوطنية المنعقدة في الدول العربية والتي تغلق أبوابها أمام أمثالي من المشاركة بنفس الذريعة: مقاطعة إسرائيل. ليس أن في مثل هذا التعامل موقفا جائرا فحسب، بل هو موقف فجّ ينم عن جهل عميق لتجربتنا الوطنية، وليس فيه موقف وطني ولا قومي ولا يصب في إطار مقاومة إسرائيل أو سياستها. لذلك ارتأيت كتابة هذا المقال إلى إخواننا العرب أولا احتراما لتجربتنا، وثانيا انطلاقا من مسؤوليتنا لتوضيحها لمن يهمّه هذه التجربة الخاصة.

يسموننا "فلسطينيي ال 48" وفي هذه التسمية تجنّ واختزال لتجربة صمود وبقاء. هل يوجد شعب يعرف بتاريخ نكبته؟ نحن نعتبر أنفسنا "فلسطينيي الوطن" لأننا بقينا في وطننا رغم النكبة. بقينا "أيتاما على مأدبة اللئام" وتحملنا حكما عسكريا طال نحو عقدين ولم نرحل،

إلى إخواننا العرب أولا احتراما لتجربتنا، وثانيا انطلاقا من مسؤوليتنا لتوضيحها لمن يهمّه هذه التجربة الخاصة

يسموننا "فلسطينيي ال 48" وفي هذه التسمية تجنّ واختزال لتجربة صمود وبقاء. هل يوجد شعب يعرف بتاريخ نكبته؟

نحن نعتبر أنفسنا "فلسطينيي الوخز" لأننا بقينا في وخزنا رغم النكبة. بقينا "أيتاما على مأدبة اللئام" وتحملنا حكما عسكريا خال نحو عقدين ولم نرحل، وتمسكنا بوخزنا كالقابض على الجمر بيده

بعد أقل من ثلاثة عقود على النكبة استعدنا تماسكنا كأقلية قومية

وتمسكنا بوطننا كالقابض على الجمر بيده. كنا أقلية ممزقة وشبه منكوبة وتعرضنا لسياسة قمع وتمييز واضطهاد، هذا بالإضافة إلى انتهاج إسرائيل سياسة هدفت إلى تجهيلنا لتاريخنا وقطعنا عن انتمائنا القومي وعن لغتنا وثقافتنا وحضارتنا، وحاولت غسل دماغ أطفالنا ليتماهوا مع القضية اليهودية والصهيونية. ظنوا أن باستطاعتهم إذابتنا في الأغلبية اليهودية في إسرائيل. وماذا كانت النتيجة؟

بفضل ذاكرة آبائنا وأجدادنا وبفضل التثقيف السياسي والوطني الذاتي، وبدون أي عون من اخوتنا العرب، واصلنا جيلا بعد جيل التمسك بهويتنا القومية وبلغتنا العربية وبثقافتنا وتراثنا، وأثرينا تراثنا الوطني بأشعار محمود درويش وسميح القاسم وتوفيق زياد وراشد حسين وغيرهم الكثيرين، وبروايات إميل حبيبي وطه محمد علي وسلمان ناطور وغيرهم.

منذ أن كنا نحو 150 ألف فلسطيني باقون في وطنهم بعد نكبة 1948 مقطوعين عن جزء كبير من عائلاتنا وأصدقائنا الذين أصبحوا لاجئين عبر الحدود الممنوعة، خضنا معركة صمود وبقاء وكافحنا من أجل لقمة العيش وضد سياسة التمييز في أقسى الظروف. بعد أقل من ثلاثة عقود على النكبة استعدنا تماسكنا كأقلية قومية فلسطينية وصنعنا "يوم الأرض" حين أعلنا إضرابا شاملا في 30 آذار سنة 1976 لوقف مصادرة بقية أراضينا وقعت فيه اشتباكات دموية مع الجيش الإسرائيلي. هذا اليوم الذي تحتفل فيه كل سنة جميع فئات الشعب الفلسطيني والعربي في الأراضي المحتلة سنة 1967 وفي بقية الدول العربية والشتات.

بقينا في وطننا نحرس الأرض الباقية والمقدسات الإسلامية والمسيحية والدرزية، ونشارك من موقعنا، في عقر دار إسرائيل، في جميع النضالات الوطنية ضد الاحتلال، وضد الحروب التي شنتها إسرائيل على الدول العربية سنة 1956 و 1967 وضد اجتياح لبنان سنة 1982 والحرب عليه سنة 2006. لم يكن مثل هذا النضال الوطني رفاهية في دولة ديمقراطية، بل مواجهة حقيقية بداخل نظام قامع وعنصري مارس السجن والتعذيب والإقامات الجبرية وقطع الأرزاق، استشهد وجرح فيها الكثيرين.

في نظرة للوراء يبدو أن بقاءنا في وطننا هو الإخفاق الأساسي للصهيونية التي لم يقف أمام مشاريعها عائق حتى الآن. يأخذ علينا بعض العرب أننا مواطنون في دولة إسرائيل، وبأننا نحمل جواز سفر إسرائيلي. كيف أرادوا لنا إذن أن نبقى في وطننا في دولة أقيمت عنوة وفرضت الحكم العسكري وملأت البلاد بالمهاجرين اليهود دون أن تستطيع أي دولة

فلسطينية وصنعنا "يوم الأرض"

بفضل ذاكرة آبائنا وأجدادنا وبفضل التثقيف السياسي والوخزي الذاتي، وبدون أي عون من اخوتنا العرب، واصلنا جيلا بعد جيل التمسك بهويتنا القومية وبلغتنا العربية وبثقافتنا وتراثنا

بقينا في وخزنا نحرس الأرض الباقية والمقدسات الإسلامية والمسيحية والدرزية، ونشارك من موقعنا، في عقر دار إسرائيل، في جميع النضالات الوخزية ضد الاحتلال، وضد الحروب التي شنتها إسرائيل على الدول العربية

بقاءنا في وخزنا هو الإخفاق الأساسي للصهيونية التي لم يقف

عربية نجدتنا؟ كيف أرادوا لآبائنا أن يحافظوا على بقائهم في وطنهم مع كل ما يتطلبه هذا البقاء من مصدر رزق وتعليم وخدمات صحية وتنقل دون مواطنة؟ ماذا أرادوا أن نفعل وكيف أرادوا لنا أن نحافظ على بقائنا في وطننا ورأينا أن بعض الدول العربية لم تعط لاجئيها الفلسطينيين حتى مواطنة كاملة ولا جواز سفر؟

المواطنة لم تكن أداة بقاء عملية في عالم لا مكان فيه لمن لا جنسية له فحسب، بل شكلت وتشكل اليوم القاعدة التي نخوض عليها وبواسطتها نضالا دؤوبا ضد العدوان الإسرائيلي وضد التمييز. وهل تحسبون أن مواطنتنا الإسرائيلية هي مكسب لإسرائيل؟ إسرائيل مشغولة منذ سنين بما تطلق عليه اسم "المشكلة الديموغرافية"، أي وجود نسبة فلسطينية متصاعدة بداخلها تصل اليوم إلى نحو مليون ونصف نسمة وتشكل نحو 18% من سكان إسرائيل، الأمر الذي تعتبره تهديدا لمشروع الدولة اليهودية. لذلك ما زالت الحملات العنصرية متواصلة ضدنا، تتخذ مؤخرا شكل تشريعات عنصرية والتهديد بتنفيذ ترانسفير، لنا أو لجزء منا، خارج الدولة ناهيك عن التصريحات العنصرية التي تسمع يوميا من قبل وزراء وأعضاء برلمان، أو هتافات جمهور يهودي عنصري يهتف دون رادع "الموت للعرب"، أو اعتداءات جسدية على العرب في مناسبات مختلفة.

إنها سخرية القدر أن تعاملنا إسرائيل على أننا عرب وفلسطينيون بالرغم من مواطنتنا الإسرائيلية، بينما يعتبرنا أخواننا العرب "إسرائيليين" بالرغم من تمسكنا في أحلك الأوقات بهويتنا القومية والثقافية وبمواقفنا الوطنية على مدار عقود وفي عقر دار إسرائيل. ألا يكفينا التمييز الإسرائيلي ضدنا وخوضنا نضالا مريرا ضده دون أي دعم عربي، ليزيد علينا اخوتنا العرب تمييزا آخر يضعنا جورا في قفص الاتهام ويستدرجنا إلى موقع الدفاع عن النفس؟ من يملك المبرر الأخلاقي لمثل هذا التمييز ضد فئة اجترحت ما سمي "أدب المقاومة"، وصنعت "يوم الأرض" الخالد، وشكلت بصمودها في وطنها الإخفاق الأساسي للصهيونية.

وعودة إلى موضوع مقاطعتنا بحجة مقاطعة إسرائيل. في نفس الأسبوع الذي تلقيت فيه رفضا لمشاركتي قبل عام في مؤتمر علمي، عقد في إحدى الدول العربية، بحجة جواز السفر الإسرائيلي، تصدرت معظم الصحف لدينا عناوين مفادها بأن الأعلام الإسرائيلية ترفرف في ذلك البلد احتفاء بمشاركة سباحين يهود إسرائيليين في مسابقة سباحة عالمية جرت هناك. ومن جهة أخرى ألا يشارك في المؤتمرات المنعقدة في الدول العربية بعض

أمام مشاريعها عائق حتى الآن

إنها سخرية القدر أن تعاملنا إسرائيل على أننا عرب وفلسطينيون بالرغم من مواخنتنا الإسرائيلية، بينما يعتبرنا أخواننا العرب "إسرائيليين" بالرغم من تمسكنا في أحلك الأوقات بهويتنا القومية والثقافية وبمواقفنا الوخنية على مدار عقود وفي عقر دار إسرائيل

العرب أو الأجانب الذين هم عملاء فعليين لإسرائيل أو أمريكا أو خائنين لبلدانهم العربية؟ إلى متى يستمر هذا الموقف الوطني شكليا والرجعي جوهريا؟

من لا يميز بين الفلسطيني مواطن إسرائيل وبين الإسرائيليين اليهود إنما يكون قد فقد البوصلة الوطنية ولا يستطيع تغطية جهله بذريعة أنه يدعو إلى مقاطعة إسرائيل.

* كاتب المقال هو بروفسور فلسطيني وباحث في علم النفس وهو من مواليد سنة 1953 في مدينة الناصرة أكبر مدينة فلسطينية في إسرائيل.

Prof. Marwan Dwairy
Clinical, Medical, Educational, and Developmental Psychologist
Cross-Cultural Researcher
POBox 14710
Nazerat Ellit 17000
www.marwandwairy.com

"مراسلات الشبكة" على الفايس بوك
http://www.facebook.com/Arabpsynet

**** ****

Arabpsynet
www.arabpsynet.com

ARABPSYNET PRIZE 2012

جائزة البروفيسور مالك بدري لشبكة العلوم النفسية العربية 2012

www.arabpsynet.com/Prize201/2APNprize201.2pdf

المجلة العربية للعلوم النفسية

تمديد آخر أجل لقبول الابحاث إلى نهاية أفريل 2012

ملف العدد 34- ربيع 2012

العلوم النفسية في التراث العربإسلامي

المشرف: د. محمد توفيق الجندي

أخصائي الطب النفسي بمستشفى الأمل- جدة، السعودية
drjundi@gmail.com
arabpsynet@gmail.com